م - ١٤ من صفر ١٤٤٣هـ - ١١ توت ١٧٣٨ق | السنة: ٣٥ | ثلاثة جنيهات | ٨ صفحات | تصدر عن

الحق فوق القوة
والأمة فوق الحكومة
«سعد زغلول»

الوفد

alwafd

١٩٨٤ برئاسة تحرير مصطفى شردى

نحو الحرية

هؤلاء الفنانون.. وفهمهم للكرامة الوطنية!

قبل أن نغلق ملف أزمة مباراة أم درمان التي دخلت تاريخ الصراعات العربية العبثية وخرجت من تاريخ كرة القدم الحقيقية، ينبغي ان نتأمل سلوك بعض الفنانين بل كثير منهم تجاهها. فقد لعب فنانون وفنانات كبار ومتوسطون دورا محوريا في تصعيد الأزمة واستخدموا الإعلام الجائع إلي وجبات فاسدة لا يستطيع أن يقدم غيرها، مثلما استعملهم إعلاميون من الدرجة الثالثة وما دونها لخلق بطولات وهمية زائفة ضاربين عرض الحائط بالتقاليد المهنية والقواعد الأخلاقية ومعايير السلوك الطبيعي.

غضب فنانون وفنانات غضبة لا سابقة لها، ورفعوا شعار الكرامة الوطنية المصرية. وهذا شعار لم يكن ضمن اهتماماتهم في أي وقت مضي، ولا علي جدول أعمالهم.

فكثيرة هي الأحداث التي تعرضت فيها هذه الكرامة إلي اعتداء جسيم، ولكنها مرت مرور الكرام بدءا من قتل جنود مصريين برصاص إسرائيلي علي الحدود وليس انتهاء باضطرار القاهرة الرسمية الي المشاركة ضمنياً في محاصرة قطاع غزة. لم يسمع أحد في تلك الأحداث صوت الفنانين المصريين الذي ارتفع مجلجلاً معلناً مقاطعة الجزائر وأهلها ومنذرا ومهددا بمزيد من الويلات. ولم يظهر في تلك الأحداث أي من الفنانين الذين حولوا أزمة رياضية مع الجزائر إلي معركة سياسية وثقافية حامية الوطيس بدا فيها هذا البلد العربي كما لو أنه العدو التاريخي الذي اعتدي علي الوطن واحتل جزءا من ترابه وقتل الآلاف من أبنائه.

فهذه هي المرة الأولي التي ينتفض فيها عدد هائل من الفنانين المصريين سياسيا، ومعهم بعض الإعلاميين الذين لم يعرف عن غالبيتهم مثل هذه الغيرة المفرطة علي كرامة الوطن.

ولذلك كانت «هوجة» هؤلاء الفنانين هي أغرب ما في المشهد الذي أعقب الأحداث المؤسفة التي وقعت في مباراة كرة القدم بين مصر والجزائر في أم درمان في ١٨ نوفمبر الماضي. استمرت هذه «الهوجة» طويلا، ومازالت بقاياها تتواصل وتداعياتها تتفاعل. في الصباح كانت الصحف تصدر حافلة بهجوم علي الجزائر اعتمدت في جانب أساسي منه علي تصريحات فنانين حضر بعضهم المباراة وتعرض عدد منهم لاعتداءات من جانب جمهور جزائري بلا وعي ولا أخلاق. وفي المساء كان الهجوم نفسه يملأ ساعات الهواء في معظم برامج «التوك شو» التي يستضيف فيها إعلاميون فنانين دون أن يفهم المشاهد من هو الضيف ومن المضيف، إذ يتباري الجميع في المزاودة علي بعضهم البعض.

وبالرغم من ان هذا المشهد أخذ في الانحسار تدريجياً بعد «الفاصل» الاضطراري في أيام عيد الأضحي المبارك، مازالت توابعه مستمرة تشي بما هو أفدح من مجرد أن ثمة إعلاميين لا يعرفون رسالتهم وفنانين لا يدركون دورهم.

فالسؤال الجوهري الذي يثيره هذا المشهد هو عن تفسير «هوجة» لا سابقة لها ومغزي غضبة من أجل كرامة الوطن لم يحدث مثلها حين استباح الأعداء التاريخيون، ومازالوا، هذه الكرامة. لم يطالب أي من الذين دعوا إلي طرد سفير الجزائر لدي القاهرة بإبعاد السفير الإسرائيلي أو حتي استدعاء سفير بلادهم لدي تل أبيب للتشاور لم تهتز لأي منهم شعرة عندما سقط جنود مصريون بسطاء فقراء مجهولون برصاص إسرائيلي علي الحدود. فهل يرجع ذلك لانهم لا يعتبرون إسرائيل عدواً أو يرون الجزائر أكثر خطراً علي بلادهم منها، أم لأنهم ليسوا معنيين إلا بأنفسهم أفراداً وجماعة باعتبارهم فئة متميزة ومميزة إلي حد أن أقل أذي يمس أيا منهم يصبح اعتداء علي الوطن وكرامته، بخلاف غيرهم من المصريين خصوصا البسطاء الفقراء؟!

والأرجح أن المشكلة تكمن في نظرة هؤلاء الفنانين ومعهم بعض من «أرستقراطية» الإعلاميين إلي أنفسهم، وليس في موقفهم السياسي أو نزوعهم الوطني. فهم لا ينطلقون من أن الجزائر هي العدو وليس إسرائيل، ولا يصدرون عن جهل بتراتيبية مصادر التهديد بالنسبة إلي بلادهم. فهم تصرفوا انطلاقاً من أذي لحق بعضهم ممن ذهبوا إلي السودان لتشجيع منتخب بلادهم في مباراته الفاصلة في التصفيات المؤهلة لنهائيات كأس العالم ٢٠١٠. فقد أصيب بعض الفنانين والإعلاميين من جراء اعتداء مجموعات من ممارسي البلطجة رافقوا المنتخب الجزائري إلي تلك المباراة.

وهذا الاعتداء جريمة لا شك فيها. ولكنهم جعلوها جريمة الجرائم التي يمكن أن يغتفر كل ما عداها. فالضحايا فيها من «علية القوم» وليسوا من القاعدة العريضة ممن تداس كرامة بعضهم في داخل وطنهم وليس فقط من عدوه التاريخي. لقد اختزل فنانون وإعلاميون أصحاب نفوذ ومال الوطن والعلم والكرامة في أنفسهم، فشنوا معركة انتقام لأسباب فئوية ألبسوها ثوب القضية الوطنية الكبري التي تستدعي مقاطعة شاملة غير مسبوقة لبلد عربي.

وتواطأ نقباء نقاباتهم الثلاث مع هذه «الهوجة» دون تفويض من القاعدة العريضة لفناني مصر الذين يعرفون أنها أكبر من أن تسلك مسلك الصغار الذين لا يسيئون إلا إلي بلدهم عندما يفتحون قاموس الشتائم التي لا تصدر عن كبار.

د. وحيد عبدالمجيد

اليوم: الم
٢٠٠٩/ ١٢/